المقتطف

الجزء الاول من المجلد السابع والستين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٢٥ — الموافق ٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٣

اول رائد مصري حديث

[قرأنا المقالة التي نشرتها المجلة الجغرافية الوطنية (الاميركية) من قلم الرائد المصري الهمام احمد حسنين بك والخطبة النفيسة التي تلاها في الجمعية الجغرافية الملكية ببلاد الانكليز ونشرت في اعمالها فترجمنا منهما الملخص التالي وابقينا الكلام فيه بصيغة المتكلم والحقنا به خلاصة ما كتبتهُ المجلتان في هذا الصدد]

ان رحلتي التي قطعتُ بها صحراء ليبيا من السلوم على شاطئ البحر المتوسط الى الأبيض قاعدة كردفان بالسودان (انظر الخريطة) رحلتها في النصف الاول من سنة ١٩٢٣ . وقد بدا فيَّ الشوق الى هذه الرحلة سنة ١٩١٦ فان الكولونل تلبت وكان ضابطاً ممتازاً في الجيش المصري وقد استقال منهُ عاد الى الخدمة حالما استعرت نار الحرب العالمية فذهبت معهُ موفداً الى السيد ادريس السنوسي في الزويتينة . وكان من اغراض هذه البعثة الاتفاق معهُ كزعيم للسنوسية على منع البدو من مهاجمة تخوم مصر الغربية وكنت قد تعرفت به في مصر وهو راجع من الحج سنة ١٩٠٥ لانهُ كان صديقاً لابي . فاخبرتهُ حينئذٍ عن رغبتي في زيارة الكفرة التي لم يصل اليها من الاجانب الا رجل واحد وهو الرحالة الالماني رولفس وذلك سنة ١٨٧٩ . فابدى سرورهُ من رغبتي هذه وطلب مني ان اخبرهُ حينما انوي الرحلة ووعدني بكل مساعدة . ثم زرتهُ ثانية سنة ١٩١٧ وقلت لهُ اني لا ازال مصمماً على الذهاب الى الكفرة وسافعل حالما تضع الحرب اوزارها . فزاد في ترغيبي وكرر وعدهُ لي وكان معي حينئذٍ المستر فرنسيس رود وهو من اصدقائي الذين صادقتهم في كلية بليول بجامعة اكسفرد فبحثنا في امر الرحلة واتفقنا على ان نقوم بها كلانا

ولما انقضت الحرب اتتني مسز روزتا فوربس (وهي الآن مسز مكغراث) بكتاب

من المستر رود طالبة ان ترافقنا في تلك الرحلة . فجعلنا نرسم خطة سفرنا ولكن لما حان وقت السفر حدث ما منع المستر رود من مرافقتنا فرحلت انا ومسز فوربس وحدنا . فسرنا من جدابيه في نوفمبر سنة ١٩٢٠ ومعنا قافلة اعدها لنا السيد ادريس وبلغنا الكفرة في ١٤ يناير سنة ١٩٢١ . ثم رجعنا الى الجغبوب مارين ببئر الذكر ومنها الى واحة سيوه فالاسكندرية (انظر الخريطة المقابلة وتفصيل هذه الرحلة في مقتطف يناير ١٩٢١)

ورحلتي هذه الى الكفرة زادت رغبتي في الارتحال فاني رأيت حينئذٍ ان وراء الكفرة قفراً مترامياً لم تطأْهُ رجل مستكشف وبلغتني اخبار عن واحات مجهولة لا يعلم عنها شيءٌ الاّ بالاحاديث المتناقلة . واحات مجهولة هذا مما يشحذ الهمم ويزيد الشوق الى ارتياد المجاهل !

حسنين بك على جواده العربي بركة ورجال القافلة المذكورة

فرجعت الى مصر عازماً على العودة وان لا اقنع بالوصول الى الكفرة بل احث الركاب الى ما وراءها حتى ابلغ بلاد السودان واعود من هنالك بطريق الخرطوم . وهنالك امر آخر زاد رغبتي في السفر وهو اننا في الرحلة الاولى لم يكن معنا من الآلات العلمية الاّ بارومتر انرويد وبوصلة مضبوطة ولذلك لم يكن في الامكان الوصول الى ارصاد علمية وغاية ما وصلنا اليه معلومات عن الطريق دوّنتها بما كان لديَّ من الوسائل الضئيلة ولذلك عزمت ان اتجهز في الرحلة التالية بما يلزم من الآلات لمسح البلاد التي نمرُّ فيها لعلي اتمكن من ان اضيف شيئاً الى ما يعرف عن صحراء ليبيا جغرافياً وطبوغرافياً

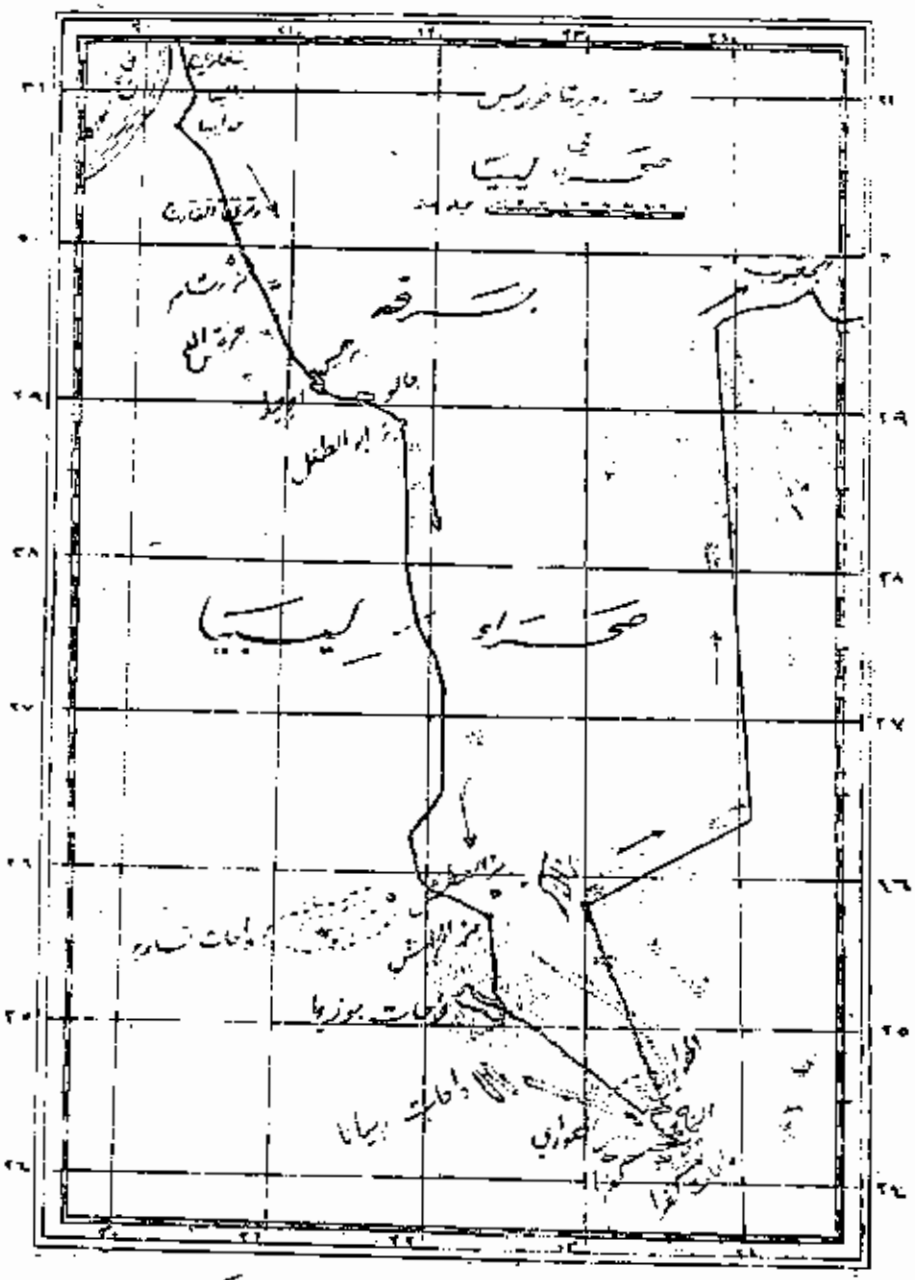

خريطة رحلة حسين بك ومسز فوربس الى الكفره

مقتطف يونيو ١٩٣٥

امام الصفحة ٢

فرضت الخطة التي كنت عازماً على اتباعها ورفعتها الى جلالة مولاي الملك فؤاد الاول فقابل جلالته مشروعي بالاستحسان والتنشيط التام وامر ان أعطى اجازة طويلة. ولولا تعطفه وتشجيعه لما تمكن مشروعي بالنجاح الذي تكلل به

بلغت السلوم في الحادي والعشرين ديسمبر سنة ١٩٢٢ وقبلتي الجغبوب مقام السنوسية العلي ومدفن السنوسي الكبير وهي على ١٣٠ ميلاً من السلوم جنوباً . وقبلما غادرت السلوم بلغني ان الجمالة الذين استأجرتهم ليذهبوا معي الى الجغبوب اتفقوا على نهب ما معي في الطريق فغيرت خطة سفري واستأجرت جمالة آخرين ليذهبوا معي الى سيوه ناوياً ان اذهب الى الجغبوب منها. وقامت قافلتي من السلوم في الثاني من يناير سنة ١٩٢٣ ولحقت بها بعد يومين . ومن السلوم الى سيوه تسعة ايام وكنت اهتم في اثناء الطريق بتغطية الصناديق التي فيها الآلات العلمية حتى تظهر كأنها من الامتعة العادية التي يحملها البدو في رحلاتهم. ورأيت في اليوم الخامس ظبياً يرعى على مقربة من الطريق فقصدته وللحال سمعت ضجة من رجالي كأنهم ينهونني عن اللحاق به فلم افهم ما غرضهم من ذلك لاسيما واني اعلم شدة قرمهم الى اللحم وحسبت انهم خافوا ان اضل الطريق . وبعد قليل تمكنت من اطلاق بندقيتي على الظبي فوقع صريعاً فحملته وعدت به الى القافلة فاسرع الجمالة الى لقائي فرحين متهللين - ثم علمت ان من تقاليدهم ان ما يصيب القافلة من نجاح او فشل يتوقف على الطلقة الاولى التي تطلق من بندقية بعد الشروع في السير فاذا اصابت فالرحلة ناجحة واذا اخطأت فالفشل نصيبها فاوجسوا شراً من تعرضي للظبي لئلا اخطئه فيحل بهم ما يحذرونه ولو علمت ذلك قبلاً لما كنت اقل منهم حذراً ولابقيت اطلاق بندقيتي الى ان نبلغ القاهرة في ختام الرحلة

واستأجرت جمالة آخرين من سيوه للذهاب الى الجغبوب وهي على اربعة ايام من سيوه فالتقينا في منتصف الطريق بالسيد ادريس السنوسي آتياً الى مصر فاعطاني مكاتيب توصية الى ابن عمه السيد محمد العابد في الكفرة والى وكلائه في الجغبوب وجالو والكفرة. ولحرفتي القديمة بالسيد ادريس الشأن الاكبر في نجاح هذه الرحلة والرحلة التي سبقتها الى الكفرة سنة ١٩٢١ - ولما ودعته دعا لي ولرجالي بالتوفيق فاصر رجالي على السير في الطريق الذي جاء فيه تبركاً ولو كان اطول من غيره فوافقتهم على ذلك

ولما بلغنا الجغبوب رحب بنا السيد حسين وكيل السيد ادريس وسائر الاخوان

[وهنا استطرد حسنين بك الى ذكر السنوسية وتاريخها ثم قال]

لم استطع ان اغادر الجغبوب الاَّ بعد اكثر من شهر لما وجدتهُ من الصعوبة في استئجار الجمال فاقمت فيها ٣٣ يوماً كانت ايام سكينة وسرور وغادرتها والسعد في خدمتي حسب رأي اهل البادية لان يوم مغادرتها كان يوم زوبعة رملية (هبوب) . ولعلهم جروا في اعتقادهم هذا على قول من قال اذا لم يكن لك ما تريد فأرد ما يكون . والمسافة من الجغبوب الى جالو سبعة ايام لكننا اضطررنا ان نقطعها في اثني عشر يوماً بسبب ثلاث

قبة الجامع في واحة الجغبوب تثوي تحتها رفات السنوسي الكبير

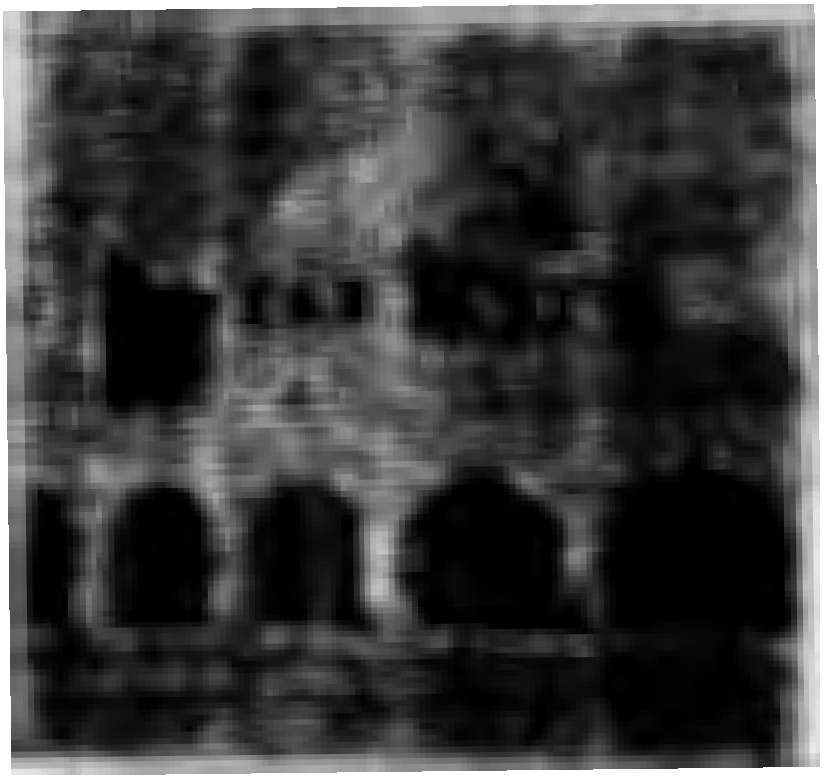

الزوابع . يطلع النهار والسماء صافية الاديم لا دليل على زوبعة ولا على ريح والصحراء منبسطة امامنا كأنها تبسم لنا فتسير القافلة متهادية ثم يهب نسيم عليل ينعش النفوس وبعد قليل يزيد جرأة فتلتفت واذا وجه الصحراء قد تغير كأن اقانيم من الجان انتشرت افواهها محنقة وشرعت تقذف بحارها فيثب الرمل بغ و يدور على نفسه ويصعد في الهواء كأنهُ في

الارض قوة دافعة تدفع رملها وتدفع ما فيه من الحصى فتصيب الارجل والافخاذ . وتعلو اعاصير الرمال وتلطم الوجوه والرؤوس . ويطبق الجو حتى لا نرى من القافلة الا أقرب جمالنا إلينا ثم لاتلبث الريح أن تصير رمالاً وحصباء تعمي العيون وتلطم الرؤوس والأبدان والسعيد من هبت تلك الريح في ظهره لا في وجهه لأن الرمل ينخس الوجوه كالإبر ولا يستطيع المسافر أن يغمض عينيه لأن الضلال في تلك الشدائد شر من الزوبعة

لكن العاصفة لم تكن متصلة الاوصال بل كان فيها فواصل كأنها هبات تأتي ثلاثاً او رباعاً وبينها فترات تطول بضع ثوانٍ فاذا بدأت الهبة ادار المرء وجههُ وبسط كوفيتهُ أمامهُ ليقيهُ منها واذا جاءت الفترة ابعد الكوفية وتنفس والتفت ليرى طريقهُ واستعد للهبة التالية كأن وحشاً هائلاً من الوحوش الخرافية كان يتنفس فيقذف الرمل في وجوه الناس او كأن اصابع جبّار مرّت على اوتار مشدودة « فخنت كأنها مرزاة تكلى ترنُّ وتعول »

واذا لقي المرء زوبعة رملية (هبوباً) فلا سبيل لهُ الاّ ان يواصل السير لانهُ اذا اعترضها شيء ثابت عموداً كان او جبلاً او انساناً تراكم رملها حولهُ وصار بهِ كثيباً فاذا كان السير في الزوبعة الرملية الياً فالوقوف فيها موتاً زؤاماً

وقد يطول امد الزوبعة خمس ساعات او ستّاً وحينئذٍ لا بدَّ للقافلة من متابعة السير بتأنٍ وحذر لئلاّ تضل الطريق واذا بلغت اشدها مشت الجمال مشياً وئيداً عالمة ان في الوقوف عن السير الموت المحتوم بدليل انها تقف عن السير وتبرك حالما يقع المطر

ومن شأن الزوبعة انها تسفي الرمل وتدخلهُ في كل خروب رحلك فيصل الى الثياب والزاد والآلات والادوات وتشعر بهِ وتتنفسهُ وتأكلهُ وتشربهُ وتكرههُ وتغتاظ منهُ وادق اجزائهِ يدخل مسام بدنك فتشعر بحكة مؤلمة

بعد ما جزنا بئر ابو سلامه وهي على مرحلة من الجغبوب سرنا في ارض فيها بقايا اشجار متحجرة فكنا نرى منها من وقت الى آخر قطعاً منصوبة في الصحراء اعلاماً للسابلة كأنها اجزاع شجر مائلة نقلتها الطبيعة من عالم النبات الى عالم الجماد واذا سقط واحدمنها فالعرف العام بين البدو يقضي بنصبها ثانية لاهتداء القوافل

بلغنا جالو في الخامس من شهر مارس وهي ام الواحات هناك لجودة تمرها ولانها محطة

لوافل تجار [illegible] من [illegible] في [illegible] [illegible] رئيس [illegible] من
وادي [illegible] [illegible] شمالاً

و [illegible]

[illegible]

باه مات [illegible] ابن [illegible] ان اباه قضى في حومة الوغى
والقوافل [illegible] في [illegible]

في رحلتي الاولى اليها سنة ١٩٣١ اهتم السيد ادريس بتدبير لوازم السفر كرماً منهُ فكان لذلك شأن كبير في نفوس البدو فاضعف ما فيهم من شكوك وسنهم من التعرُّض لنا بسوء اما الآن فاضطررت ان ادبر امر الجمال وكانت كثيرة لكثرة ما معنا من الامتعة ولاسيما الآلات العلمية التي عليها يتوقف نجاح الرحلة . والرحلة السابقة كانت في الفصل المناسب من السنة اما هذه فاخرتني العوائق عن جعلها في ذلك الفصل

اقمت في جالو عشرة ايام استعد لقطع قفر لا ماء فيهِ وقبول الدعوات لولائم وجوه جالو وايلام الولائم لهم . واهم من ذلك الارصاد التي رصدتها هناك فرصدت الشمس والنجوم لمعرفة مكان الواحة بالتدقيق ودوّنت درجات البارومتر والثرمومتر لمعرفة الارتفاع وكان رولفس قد وجد سنة ١٨٧٩ ان ارتفاع جالو مثل ارتفاع سطح البحر فثبت لي من المقابلة بالارصاد التي رصدتها في سيوه ان جالو صارت الآن أعلى مما كانت في زمن رولفس مئتين متراً ورأيت تعليل ذلك ميسوراً بما تسفيه الرمال فاني وجدتها قائمة حول جذوع الاشجار والى جانب الجدران تكاد تدفنها حتى اضطر بعض السكان ان ينقلوا بيوتهم الى اماكن مرتفعة فان البيت الذي كنت فيهِ حيث دونت قراءات البارومتر كان يعلو فوق بيوت القرية ١٥ متراً الى ٢٠

وكنت الزم الحذر التام في ارصادي لان البدو يسيئون الظن اذا رأوا آلة كثيرة الاجزاء كالثيودوليت وشأنهم ان يقولوا حينئذٍ اني اقصد تخطيط البلاد لاجل التغلب عليها وفتحها . واول مرة رآني شيخ من شيوخهم استعمل الثيودوليت سألني في ذلك فأجبتهُ على الفور جواباً اقنعهُ وهو اني ابحث عما تتبيَّن بهِ بداءة شهر رمضان

وكان معي رجل اسمهُ عبد الله كنت اعتمد عليهِ في اخفاء اعمالي العلمية عن الذين يوجسون منها شرًّا وكان هذا الرجل آية في تسكين الخواطر . كنت مرة استعمل الثيودوليت وانا في جالو فقيل لنا ما انتم فاعلون فاجابهُ عبد الله اننا نصور البلد فقال الرجل وكيف تصورونها وانتم بعادعنها فاجابهُ عبد الله أن الآلة تجذب الصورة فتطير اليها . فقال الرجل كيف تجذب الآلة الصورة فقال عبد الله اسأل المغنطيس كيف يجذب الحديد . فسكت الرجل كأنهُ أفحم

وفي الخامس عشر من مارس شرعنا في السير ووجهتنا الكفرة وكان في القافلة ٣٩ جملاً و٢١ رجلاً وفرس وكلب وكان الحر شديداً والقفر امامنا كبساط لا حد لهُ رمال فيها

حصباء مبعثرة هنا وهناك . فسرنا قاصدين آبار القيض آملين ان نصل اليها في ثمانية ايام او تسعة . ورأينا في طريقنا عصائب من الطيور قاطعة شمالاً وهي معياة من العطش فقدمنا لها الماء فجعلت تحوم على ايدينا وهي تشربهُ

مرت الايام في هذا القفر على هذه الصورة ننهض بُعيد الفجر لان البرد اشد من ان تكفي دثُرنا لتدفئة اجسامنا ويكون واحد قد اضرم النار فابادر اليها وانا ملتف بجردي وكوفيتي تغطي اذنيَّ والتفت الى ما حولي فاذا كل واحد ملتف بجرده وكل وما تصل اليه يدهُ من الثياب واذا كان الماء كافياً اغليَ الشاي وادرت كؤوسهُ على الرجال فيشربونهُ ويشرعون في اعمالهم . يذهب رجلان لاطعام الجمال تمراً يابساً فتقضمهُ هو ونواهُ ويتذاكر الجمالة احياناً في امر حمولتها اذا رأوا منها ما يستدعي ذلك اما بالتخفيف عن واحد والتثقيل على آخر او بتغيير حزمها . ويقوّض بعضهم الخيام وهي ثلاث تنصب في زوايا مثلث والجمال في وسطهِ . وانا اكون قد التفتُّ الى البارومتر والترمومتر ودونت درجاتهما في يوميتي العلمية ووضعت شرائط جديدة في آلات التصوير الشمسي . واصوات الرجال خافتة لان الكوفيات حول افواههم . ويكون الطعام قد تهيأ فنفطر عصيدة او ارزاً وما من احد يحجم من اكلة الصباح وهو في القفر كما يحجم وهو في المدن . ونتبع العصيدة بثلاث كؤوس من الشاي تُشرب حسواً . اذا اردت ان يعمل رجالك عملهم في القفر ببهجة ونشاط اطعمهم الى الشبع واسقهم الشاي ودعهم يشربونهُ على هينتهم اذا عجل عليهم او استعجلهم فيصيبك منهم الضرر بدل النفع

بعد الاكل يشعر كل احد بالدفء فتُحمَّل الجمال والتفت انا الى الدليل فيرسم لي خطاً على الرمل يقول اننا نسير فيهِ فاحقق جهتهُ بالحك وهو ينظر اليَّ حاسباً ما افعلهُ سخافة لا تنفع ولكنها لا تضر . والغالب ان لا داعي لهذا التحقيق لان هذا الدليل واسمهُ ابو حسن لا يخطئ السير كأنهُ حمام الزاجل ولا يتردَّد الاَّ في الظهيرة قائلاً « انهُ متى كانت الشمس عالية وخيالي بين قدميَّ يدور رأسي » ويضل احياناً بين غروب الشمس وطلوع النجوم وقد رأيت دليلاً مرةً حاد عن الطريق تسعين درجة في ذلك الوقت

ستأتي البقية